شكر الله على نعمة المال تكون بأداء الزّكاة

(خطبة الجمعة لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –

في اليوم 18 من المحرّم 1435هـــ الموافق لـــ 22 نوفمبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

موضوعنا في هذه الجمعة المباركة، موضوعٌ حول ركنٍ من أركان الإسلام، بعنوان:

شكر الله على نعمة المال تكون بأداء الزّكاة

معاشر الإخوة الكرام،

هل شكر الله تعالى على نعمة المال الّذي يتقلّب فيه ليلاً نهارًا من منع زكاة ماله؟،

هل تأدّب مع ربّ العالمين؟

قال تعالى:

" **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿245﴾** " **سورة البقرة.**

قال ابن القيّم رحمه الله: (**صدّر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب وهو الإستفهام المتضمّن معنى الطّلب، وهو أبلغ في الطّلب من الأمر**).

والمعنى: هل أحدٌ يبذل هذا القرض الحسن، فَيُجَازَى عليه أضعافًا مضاعفةً ؟.

ومتى علمت أنّ ما أنفقت سيرجع إليك أضعافًا، فسوف تنفق لا محالة.

ومتى علمت أنّ المستقرض غنيٌّ مليءٌ وَفِيٌّ محسنٌ، أَنْفَقْتَ.

فإن علمت أنّ المستقرض يتّجر لك فيما تنفق، وينمّيه ويثمره حتّى يصير أضعافًا ما بذلت، أَنْفَقْتَ.

ففي هذه الحال لا يتخلّف عن الإنفاق إلاّ من كانت به آفّة البخل والشّحّ، أو عدم الثّقة بالضّمان وذلك من ضعف الإيمان بالرّحمٰن.

ولا بدّ أن يكون قرضك لله حسنًا، فقد قيّد بأنّه قرضٌ حسنٌ، وذلك يجمع أمورًا ثلاثةً:

- **أوّلها:** أن يكون من طيّب ماله، لا من رديئه وخبيثه: (**إنّ الله طيّبٌ، لا يقبل إلاّ طيّبًا**).

- **ثانيها:** أن يخرجه من طيبة نفسه ابتغاء مرضاة الله.

- **ثالثها:** أن لا يمنّ به ولا يؤذي.

"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . . ﴿264﴾** " **سورة البقرة.**

فالأوّل متعلّقٌ بالمال، والثّاني بالمنفق بينه وبين الله، والثّالث بينه وبين الآخذ.

إخوتي الكرام،

اعلموا أنّ إخراج زكاة المال علامةٌ على صدق إيمانك، قال الله تعالى:

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ 2 ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ 3 ﴾ " سورة الأنفال.

وقال سبحانه:

" إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿ 29 ﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿ 30 ﴾ " سورة فاطر.

ولما قُرِنَتْ هذه الآيات بالصّلاة، فالمقصود الزّكاة وليس الصّدقة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: { قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (إنّ الله قال لي: [أَنْفِقْ، أُنْفِقُ عليك])، وقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (يمين الله مَلأَى، سَحَّاءٌ، لا يغيضُها شيءٌ اللّيل والنّهار، أرأيتم ما أنفق مُذْ خلق السّماء والأرض، فإنّه لم يَغِضْ ما في يمينه)، قال: (وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض) }.

فالله يُعْطِي المنفق بغير حسابٍ، ويغدق عليه في كلّ حينٍ، بل إنّ البخيل والشّحيح هو الّذي ينقص ماله ويتلف.

روى البخاري ومسلمٌ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال:

{ قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : [ما من يومٍ يصبح العباد فيه، إلاّ ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: (اللّهمّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا)، ويقول الآخر: (اللّهمّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)] }.

واعلموا إخوتي الكرام،

أنّ النِّعَمَ والأرزاق تدوم وتزيد بِشُكْرِهَا، وتزول وتنقص بِكُفْرِهَا، وشُكْرُ الله في المال إنفاقه، سواءً الإنفاق الواجب بالزّكاة أو فعل الخيرات به.

وقد ضرب لنا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قصّةً في بني إسرائيل، بَيَّنَ فيها عاقبة من شحّ وبخل في أداء حقّ الفقير، وبَيَّنَ جزاء وثواب من عرف حقّ الله في ماله نحو عباد الله تعالى، ثبت في صحيح مسلمٍ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّه سمع النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يقول: **{ إنّ ثلاثةً في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: (أيّ شيءٍ أحبّ إليك؟)، قال: (لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عنّي الّذي قد قذرني النّاس) }،**

قال: { فمسحه، فذهب عنه قذره، وَأُعْطِيَ لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، قال: (فأيّ المال أحبّ إليك؟)، قال: (الإبل)، فَأُعْطِيَ ناقةً عُشَرَاءَ، فقال: (بارك الله لك فيها) }.

قال: { فأتى الأقرع، فقال: (أيّ شيءٍ أحبّ إليك؟)، قال: (شعرٌ حسنٌ، ويذهب عنّي هذا الّذي قذرني النّاس) }،

قال: { فمسحه، فذهب عنه، وأُعْطِيَ شعرًا حسنًا، قال: (فأيّ المال أحبّ إليك؟)، قال: (البقر)، فَأُعْطِيَ بقرةً حاملاً، فقال: (بارك الله لك فيها) }.

قال: { فأتى الأعمى فقال: (أيّ شيءٍ أحبّ إليك؟)، قال: (أن يردّ الله إليّ بصري، فأبصر به النّاس) }،

قال: { فمسحه فَرَدَّ الله إليه بصره، قال: (فأيّ المال أحبّ إليك؟)،

قال: (الغنم)، فَأُعْطِيَ شاةً والدًا، فَأُنْتِجَ هذان، وَوَلَّدَ هذا }،

قال: { فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم }.

قال: { ثمّ إنّه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: (رجلٌ مسكينٌ، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلاّ بالله ثمّ بك، أسألك بالّذي أعطاك اللّون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أَتَبَلَّغُ عليه في سفري)، فقال: (الحقوق كثيرةٌ)، فقال له: (كأنّي أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك النّاس، فقيرًا فأعطاك

اللهِ؟)، فقال: (إنّما ورثت هذا المال كابرًا عن كابرٍ)، فقال: (إن كُنْتَ كاذبًا، فَصَيَّرَكَ الله إلى ما كُنْتَ) }.

قال: { **وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ على هذا، فقال: (إن كُنْتَ كاذبًا، فَصَيَّرَكَ الله إلى ما كُنْتَ) }.**

قال: { **وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: (رجلٌ مسكينٌ، وابن سبيلٍ انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بَلاَغَ لي اليوم إلاّ بالله ثمّ بك، أسألك بالّذي ردّ عليك بصرك شاةً أتبلّغ بها في سفري)، فقال: (قد كنتُ أعمى فردّ الله إليّ بصري، فَخُذْ ما شئت وَدَعْ ما شِئْتَ، فوالله لا أَجْهَدُكَ اليوم شيئًا أخذته لله)، فقال: (أَمْسِكْ مَالَكَ، فإنّما ابْتُلِيتُمْ، فقد رُضِيَ عنك، وسُخِطَ على صاحبيك) }.**

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

جيل الصّحابة هم جيل القدوة، وما إن يطلبهم النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – إلى أمرٍ يلبّوا بسرعةٍ فائقةٍ.

روى مسلمٌ عن جريرٍ بن عبد الله البَجَلِي – رضي الله عنه – ، قال:" { **كنّا عند رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – في صدر النّهار** }،

قال: { **فجاءه قومٌ حفاةٌ عراةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أو العباء، متقلّدي السّيوف، عامّتهم من مُضَرٍ، فَتَمَعَّرَ وجه النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – لِمَا رأى بهم من الفاقة، فدخل ثمّ خرج، فأمر بِلاَلاً فأذّن، وأقام فصلّى ثمّ خطب، فقال:**

"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾** "سورة النّساء.

و الآية الّتي في الحشر:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿18﴾ " سورة الحشر.

تصدّق رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّهِ، من صاع تمره، حتّى قال: (ولو بِشِقِّ تمرةٍ) }،

قال: { **فَجَاء رجلٌ من الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كَفُّهُ تعجز عنها، بل قد عجزت** }،

قال: { **ثمّ تتابع النّاس حتّى رأيت كَوْمَيْنِ من طعامٍ وثيابٍ، حتّى رأيت وجه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يتهلّل كأنّه مُذْهَبَةٌ، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (من سنّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنّ سُنَّةً سيّئةً كان عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ) }.**

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة المصريّين،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة المصريّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.